فصل
فى ملوك عرب اليمن

أول من ملك أرض اليمن ولبس التاج قحطان بن عابر ابن شالح بن أرفخشاد بن سام بن نوح بن لامك بن ماتوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم وكان ملكهُ قبل عهد الإسكندر بن قيلبس المكدونى بنحو ألف وسبعماية سنة وكان عادلًا محمود الطريقة حسن السياسة فى الرعية كثير السماحة وفيه يقول بعض الشعراءِ:

فما مثل قحطان السماحة والندى ... ولا كابنهِ ربّ الفصاحة يعربِ

ولما مات قحطان ملك بعدهُ ابنهُ يعرب وفى السنة الأولى من ملكهِ غزا بلاد الحجاز فانتصر على أهلها وأسر عدةً من ملوكها وأخذ منهم الجزية ولما ثبت ملكهُ فى تلك البلاد فوّض ولايتها إلى أخيهِ جرهم ورجع إلى بلادهِ سالمًا غانمًا فأحبَّتهُ الرعية ورفعت منزلتهُ فوق ما كانت عليهِ وقيل إن يعرب المذكور هو أول من نطق بالعربية وكان من الفصاحة على جانبٍ عظيم وهو الذى ذكرهُ حسَّان بن ثابت الأنصارى بقولهِ:

تعلَّمتمُ من منطق الشيخ يعربٍ ... أبينا فصرتم معربين دوى نفرٍ
وكنتم قديمًا مالكم غير عجمةٍ ... كلامٌ وكنتم كالبهايم فى القفرِ

ورأيت فى بعضِ المجاميع أن يعرب لقبٌ غلب عليهِ لاستنباطهِ العربية وأن اسمهُ يَمَن وبهِ سُمِّيَت البلاد والصحيح أن البلاد سُمِيَت باليمن لوقوعها عن يمين الكعبة إذا استقبلت المشرق كما سُمِيَت الشام باعتبار وقوعها عن شمال الكعبة وكان

يعرب مغرمًا بالبناء وهو أول من ابتدا بعمارة المدن فى اليمن وكان حكيمًا لبيبًا قيل لما حضرتهُ الوفاة أحضر بنيهِ وأصاهم بحسن السيرة والسلوك بين الرعية وقال لهم يا بَنِى تعلموا العلم واعملوا بهِ واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا إليهِ فإنه داعية الفظيعة بينكم وتجنّ!بوا الشرَّ وأهلهُ فإن الشرَّ لا يجلب عليكم إلا الشرَّ وأنصفوا الناس من أنفسكم فإنهم ينصفونكم من أنفسهم واجتنبوا الكبرياء فإنها تبعد قلوب الرجال عنكم وعليكم بالتواضع فإنهُ يقرّبكم من الناس ويحببكم إليهم وإذا استشاركم مستشيرٌ فأشيروا عليهِ بما تشيرون بهِ على أنفسكم فى مثل ما استشاركم فيهِ فإنها أمانةٌ قد ألقاها فى أعناقكم وأنشأ يقول:

أوصيَّكم بما وصَّى أباكم ... أبوهُ عن أبيهِ عن الجدودِ
أزيعوا العلم ثم تعلَّموه ... فما ذو العلم كالغر البليدِ
ولا تصغوا إلى حسدٍ فتغووا ... غواية كل مختبلٍ حسودِ
وذودوا الشرَّ عنكم ما استطعتم ... فليس الشرُ من خلق الرشيدِ
وكونوا منصفين لكل دانٍ ... لينصفكم من القاصى البعيدِ
وباب الكبر عنكم فاتركوهُ ... فإن الكبر من شيم العبيدِ
عليكم بالتواضع لا تزيدوا ... على فضل التواضع من مزيدِ
وأن الصفح أفضل ما ابتغيتم ... به شرفًا من الملك العتيدِ
وحقَّ الجار لا تنسوهُ فيكم ... تنالوا كل مكرمةٍ وجودِ

وكان ملك يعرب ثلثًا وثلثين سنة ولما مات ملك بعده ابنهُ يشجب وكان ضعيف الرأى واهى العزيمة كثير الغفلة قليل المعاقبة على الذنوب ولما مات يشجب ملك بعدهُ ابنهُ عبد شمس الملقب بسبَا وكان ملكًا مهيبًا كثير الغزوات شديد التيقظ فى حروبهِ مكرمًا لجنودهِ وحاشيتهِ غزا الديار المصرية مرارًا وأكثر المصاب فى أهلها وحمل السبايا إلى بلاد اليمن واقتاد الأسرى وكانوا ينيفون على عشرة آلاف أسير ولم يفعل قبلهُ أحدٌ من الملوك ولذلك قيل لهُ سَبَا وهو الذى أغار على بابل وفتحها وأخذ أتاوتها وفيهِ يقول الشاعر:

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها إلى الغرب منها عبد شمس بن
سعى بالجياد الأعوجية والقنا إلى بابلٍ فى مقنبٍ بعد مقنبِ

وكان لا يسمع ببلدٍ إلا قصدها واستفتحها فاستظهر على كثير من البلاد وهو الذى بنى السُدَّ فى أرض مأرب وفجَّر إليهِ سبعين نهرًا وساق إليه السيول من أمدٍ بعيد وكان ملك سَبَا خمسًا وثلثين سنة ولما مات ملك بعدهُ ابنهُ حِمْيَر فعاش عمرًا طويلًا وبنى مدنًا كثيرة وفتح بلادًا عديدة حتى بلغ حكمهُ على ما قيل إلى أوائل حدود الصين وهو الذى أخرج ثمود من اليمن إلى الحجاز وكان ملكهُ خمسًا وثمانين سنة ثم ملك بعجهُ ابنهُ واثل ثم السكسك بن واثل ثم يعفر بن السكسك ولما مات يعفر كا ولجهُ النعمان حديث السن وقيل بل كان جنينًا فى بطن أمهِ وولد بعد أبيهِ بأربعة أشهر فتولى رياسة المملكة عامر بن باذان بن عوف بن حمير نيابةً عن ابن الملك وكان عامر المذكور يلقب بذى رياش قيل لهُ ذلك لأنَّه كان يلبس كل يومٍ أربع حلل من الثياب الثمينة وكان يسكن مدينة سنعاءَ وهى من أعظم مدن اليمن وكانت تخت ملوكهم فى ذلك العصر ولما استقرَّ لهُ الأمر وأطاعتهُ الناس واشتهر ذكرهُ فى البلاد ظن أنهُ لم يبقَ لهُ منازعٌ لعزم على قتل ابن الملك طمعًا فى الملك أن يكون لذريتِه من بعجهِ فلما بلغ أعيان حمير ما عزم عليهِ أنكروا ذلك وخلعوا طاعتهُ واجتمعوا إلى النعمان بن يعفر وبايعونُ بالملك وحدث بينهُ وبى ذى رياش وقايع كثيرة قُتِل فيها خلق كثير وكانت النصرة للنعمان فانهزم ذو رياشٍ أقبح هزيمةٍ وكان آخر العهد بهِ وكانت مدة إقامتهِ على كرسى المملكة اثنتى عشرة سنة وتولى على المملكة بعدهُ النعمان بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حمير بن سبا وكان لبيبا حازمًا رفيع المنزلة عظيم السطوة غزا غزوات كثيرة وظفر بها وكان يلقب بالمعافر لقولهِ:

إذا أنت عافرت الأمور بقدرةٍ بلغت معالى الأقدمين المقاولِ

وكان ملكهُ أربعًا وأربعين سنة ثم توفى فتولى الملك بعدهُ ابنهُ أسمح فلما توفى قام بعده شدَّاد بن عاد بن الملطاط بن سبا فاجتمع لهُ الملك وغزا البلاد حتى بلغ أقصى

المغرب وبنى مدنًا كثيرة ومصانع عديدة وأبقى آثارًا عظيمة ولما توفى ملك بعده أخوهُ لقمان بن عاد وكان عادلًا شجاعًا سديد الرأى وعاش عمرًا طويلًا ثم ملك بعدهُ أخوه ذو سَدَد ثم الحرث بن ذى سدد وقيل هو ابن قيس بن صيفى بن سبا الأصغر وهو تُبَّع الأول وكان يلقب بالرايش لأنهُ كان قد غزا البلاد فأصاب الغنايم وأدخلها أرض اليمن فراش أهلها بذلك وأصلح أحوالهم ثم ملك بعدهُ ابنهُ الصعب الملقب بذى القرنين لضفيرتين من شعرهِ كان يرسلهما على قرنيهِ أى جانبى رأسهِ وكان كثير الأسفار والغارات ثم ملك بعدهُ ابنهُ أبرهة الملقب بذى المنار فغزا بلاد السودان وقهر أهلها وهو أول من ضرب المنار على الطرق فى غزوانِه ليهتدى بها فى رجوعهِ ثم ملك بعده ابنهُ أفريقس فغزا أرض المغرب وبنى بها مدينةً عظيمة وأبعد الغارة فى تلك البلاد إلى أقصى العمران ثم ملك بعدهُ أخوهُ عمرو الملقب بذى الأذعار قيل لهُ ذلك لأنهُ حمل النسناس إلى بلاد اليمن فذعر الناس منُه وكان عاتيا شديد التكبر قبيح السيرة وكان أبوهُ أبرهة ذو المنار قد أوصاهُ عند موتهِ بحسن السلوك بين الرعية والقيام بحق المملكة وأنشأ يقول:

يا عمرو إنك ما هلت وصيتي	إياك فاحفظها فإنك تُرشَدُ
يا عمرو لا والله ما ساد الورى	فيما مضى إلا المعين الرفدُ
يا عمرو من يشرى العُلَى بنوالهِ	كرمًا يقال لهُ الجوَّاد السيد
كل امرءٍ يا عمرو حاصد زرعهِ	والزرع شيءٌ لا محالة يحصَدُ
واصل ذوى القربى وحُطْهمُ أنهم	بهم تذلُّ الأبعدين وتكمدُ

فلم يحفل بوصية أبيهِ وتمادى على البغى وبالغ فى نكاية الرعية فكرهتهُ حمير وخلعت طاعتهُ وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعد خلعهِ شرحبيل بن عمرو بن غالب بن المنتاب بن ذيد بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حمير وكان عادلًا شجاعًا شديد الباس والنجدة وهو الذى بنى القصر المعروف بغمدان فى ظاهر صنعاءَ وهو قصرٌ عظيمٌ رفيع البناءِ أقامهُ سبع طبقات فكان ارتفاعهُ عجيبا وأبدع فيهِ ما لا يوصف من الزخارف والصنايع الغريبة وكان مسكن شرحبيل المذكور فى

مدينة مأرب إلى الجنوب الشرقى من صنعاءَ فلما بنى هذا القصر انتقل إليهِ وصار دار الملك من بعدهِ لملوك اليمن وكانت مدة ملك شرحبيل المذكور عشرين سنة ولما مات قام بالمملكة بعدهُ ابنهُ الهدهاد وكان يحب التنعم والملاهى فلما توفى ملكت ابنتهُ بلقيس بنت الهدهاد ملكة سبأ المشهورة وفى أيامها كان سليمان بن داود ملكًا على بنى إسرائيل وكان مقامهُ فى القدس الشريف فلما بلغها خبر سليمان وحمتهِ الباهرة وفدت عليه بالهدايا الثمينة فبالغ فى إكرامها وأقامت عنده أيامًا وكان ذو الأذعار الذى خلعت حمير طاعتهُ قد نهض بعد خروج بلقيس من بلاد اليمن واستجاش خلقًا كثيرًا واستظهر على المملكة وتولى أمر البلاد فلما رجعت بلقيس أثارت الحرب بينها وبينهُ وجرت لها وقايع كثيرة فتغلب عليها ثم تزوج بها فأقامت معهُ شهرًا وسقته سمًّا فمات ورجع الملك إليها وكانت هذه الملكة من أجمل النساءِ وجهًا وأحسنهنَّ عقلًا وأدبًا وكانت عادلةً تحب الإنصاف وتكره المظالم وكانت مدة ملكها ثلث عشرة سنة ولما انقضت أيامها قام بالملك بعدها عمها مالك وهو من ولد المنتاب وكان يلقب بناشر النعم لإنعامهِ على الناس باسترداده الملك بعد زوالهِ وفى السنة الأولى من كله غزا بلاد المغرب ووصل إلى حيث لم يصل إليهِ أحدٌ من الملوك السالفين قيل إنهُ انتهى إلى وادى الرمال فلما دخل بجيشه فى ذلك الرمل عصفت عليهم ريحٌ شديدة فابتلعت جانبًا عظيمًا من عسكرهِ فرجع حينئذٍ على أعقابهِ ونصب فى أول مسالك تلك البقاع عمودًا من النحاس وأقام عليهِ شخصًا من نحاس مكتوبًا على صدره بالحرف المسند المعروف بالخط الحميرى ليس وراءَ هذا مذهبٌ ورجع إلى بلادِه سالمًا وأقام فى الملك بقية عمرهِ حتى مات وكانت مدة ملكهِ خمسًا وثمانين سنة وقام بعده على المملكة ابنهُ شمر يرعش وكان بهِ رعشةٌ فقيل لهّ ذلك غير أنهُ كان من الشجعان المشاهير فتح بلادًا كثيرة وانتهى فى غزواتهِ إلى المشرق بجيشٍ عظيم ودخل أرض العراق ثم ارتحل طالبًا بلاد الصين وأخذ على بلاد فارس وسجستان وخراسان فاستظهر عليها وافتتح المداين والحصون ودخل مدينة السُفد فهدمها فقيل لها بالفارسية شمر كندای شمر أخربها ثم أعِيدَ بناءها فبقى عليها ذلك الاسم لكنهم تصفرَّفوا فيهِ فقالوا سمرقند وهى من المدن العظيمة

فى تلك الديار وقد وجد فى هذه المدينة عمودٌ فى بعض قصورها المتهدمة مكتوبٌ عليهِ بالحميرية هذا ما بناهُ شمر يرعش الحميرى لسيدة الشمس ووجد أيضًا بابٌ مصفحٌ بالحديد وعليه مكتوبٌ بالحميرية من صنعاءَ إلى سمر قند ألف فرسخ قيل ووجد على باب مدينة مرو كتابة باسمهِ تخبر عن فتح المدينة وكل ذلك يدل على صحة ما ذكرناهُ من أمرهِ ولما فرغ شمر يرعش من نوبة بلاد فارس سار طالبًا بلاد الصين فلما بلغ ملك الصين خبر قدومهِ ارتاع لذلك وارتبك فى أمرهِ لما عرف من أهوال شمر يرعش وأجنادهِ فقال لهُ وزيرهُ أنا أفدى هذه المملكة بنفسى وأكفيك شر هؤلاءِ القوم قال ذاك إليك فجدع الوزير أنفهُ وسار وافدًا على شمر يرعش حتى دخل عليهِ وشكا إليه ظلم الملك وقال قد فعل بى ما ترى على غير جناية تستحق ذلك وخشيت أن يقتلنى أيضًا فخرجت إليك هاربًا وأرجو أن يكون افتتاح هذه المملكة عن يدى فسر معى وأنا ضمى لك بذلك اغترَّ شمر يرعش بما راهُ من جدع أنفهِ وانصاغ لقولهِ فنهض بحيشهِ والوزير يقدمهم فى تلك القفار حتى دخل بهم فى فلواتٍ سحيقة معطشة على مسافة بعيدة عن الماء فأجهدهم العطش وهم يجدُّون فى طلب الماءِ ولا يدركونهُ حتى هلكوا بأسرهم وهلك شمر يرعش والوزير أيضًا وكانت مدة ملك شمر يعرش المذكور سبعًا وثلثين سنة وقام بالملك بعده ابنهُ أبو مالك وكان قد عزم على المسير إلى بلاد الصين لكى يأخذ بثأر أبيهِ فبلغه خبر معدن من الزمرد وجد فى المغرب فطمع فيهِ وترك ما كان قد عزم عليه وسار بجيش غفير طالبًا ذلك المعدن فأدركتهُ منيتهُ على الطريق ومات جانب عظيم من عسكرهِ وفيهِ يقول الأعشى:

وخـــان النعـــيم أبـــا مالـــكٍ وأى امـــرءٍ لم يخنـــهُ الزمـــانُ

ثم انتقل الملك حينئذٍ من ولد حمير بن سَبَا إلى ولد أخيه كهلان فملك منهم عمران بن عامر الأزدى وكان من أرباب الكهانة ثم ملك بعده أخوهُ مُزَيقياءُ وهو عمر بن عامر وذلك سنة ثمان وستين للمسيح وإنما قيل لهُ مزيقياءُ لأنهُ كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فإذا أمسى مزقهما لأنهُ يكره أن يعود إليهما

ويأنف أن يلبسها أحدٌ غيرهُ ولما توفى رجع الملك إلى بنى حمير فملك منهم الأقرن وقيل أنهُ ابن أبى مالك بن شمر وكان ملكهُ ثلثًا وخمسين سنة ثم ملك بعدهُ ذو جيشان وكان ملكهُ عشر سنين ثم ملك بعدهُ أخوه تُبَّع بن الأقرن ثم ابنهُ ملكى كرب ثم ملك بعدهُ أسعد بن عمرو من ولد ذى جيشان وهو تُبَّع الأوسط وكان شديد الوطأة كثير الغزوات فشقَّ على الحميريين ما كان يحملهم عليهِ من مهالك الحروب فقتلوهُ ثم ندموا على قتلِه واختلفوزا فى من يملكونُه بعده فلم يجدوا من يقوم بأعباءِ المملكة مثل ابنهِ حسَّان فملكوهُ مكان أبيهِ ولما ملك حَسَّان بن تُبَّع جعل يتتبَّع الذين قتلوا أباهُ ويقتلهم واحدًا بعد واحد فكرهوهُ واجتمعوا إلى أخيهِ عمرو فبايعوهُ على قتل أخيهِ حَسَّان وتمليكهِ بعده وكان منهم يريم بن زيد الحميرى الملقب بذى رُعين فنهاهُ عن قتل أخيهِ وحذرهُ سوءَ العاقبة فأصَرَّ على عزمِه طمعًا فى الملك وخاف ذو رُعَين أن يندم عمروٌ إذا قتل أخاهُ فيلحقهُ أذىً فاستودعهُ رقعةً قد ختم عليها بخاتم عمرٍو ودفعها عمروٌ إلى خازنِه ومضى على قتل أخيهِ وتولى مكانُه ثم ندم على ذلك فجعل يعاقب أقبال حمير حتى وصل إلى ذى رُعين فطلب الرقعة التى استودعهُ إياها فأحضرها وإذا هو قد كتب فيها

ألا مَـــن يـــشترى ســـهرًا بنـــومٍ سَـــعيدٌ مـــن يبيـــت قريـــر عـــين

إذا مـــا حِمْيَـــرٌ غَـــدَرت وخانـــت فمعـــذرة الإلـــه لـــذى رُعَـــينِ

فعفا عمروٌ عنهُ وأحسن إليهِ وكان ملك حَسَّان بن تُبع سبعين سنة ولما جلس عمروٌ فى الملك مكان أخيهِ حَسَّان تواترت عليه الأمراض فقعد عن الغزو ولزم الفراش فقيل لهُ المَوْثَبان بناءً على تضمّن ذلك معنى القعود على الوسادة بلغة حمير ولما أنهكهُ السقم صار لا يخرج إلا محمولًا على نعشٍ فقيل لهُ ذو الأعواد وهو الذى أشار إليهِ الأسود بن يعفر بقولهِ:

ولقـد علمـت سـوى الـذى نَبَّـأتني أن الـــسبيل ســـبيل ذى الأعـــوادِ

وكان ملكهُ ثلثًا وستين سنة ثم ملك بعدهُ ابنهُ عبد كلال وكان على دين النصرانية مجتهدًا فى العبادة زاهدًا حسن السيرة قيل وملك بعدهُ تبع بن حسَّان ثم ابن اخته

الحرث بن عمرو ثم مرثد بن عبد كلال ثم ابنهُ وكيعة وكان مذموم السيرة ضعيف العزيمة وكان كثيرًا ما يميل إلى اليهودية ويظهر أنهُ يهودى ثم ينهض بعد ذلك ويغير للنصرانية ويدعى أنهُ نصرانى وفى أيامِه حدث اضطرابٌ عظيم فى المملكة وعصى عليهِ عدة قبائل وخلعوا طاعتهُ وكان ملكهُ سبعًا وثلثين سنة ثم ملك بعدهُ أبرهة بن الصبَّاح وكان كريمًا حسن المحاضرة مقصودًا من الجهات ثم صهبان بن محرث وكان شجاعًا كثير الغارات قتله السفَّاح التغلبى يوم حزاز وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم التغلبى:

ونحن غداة أوفِدَ فى حزاز ... وفدنا قبل وفد الوافدينا

براس من بنى جشَم بن بكرٍ ... ندقُّ به السهولة والحزونا

وقيل إن قاتلهُ نعج بن عتبة التغلبى وهو الذى يقول فيه كليب وائل:

لما التقينا بالصفايح والقنا ... والهام من وقع الحديد تفلقُ

نعج بن عتبة شك ثغرة تُبَّعٍ ... بمثقَّفٍ فيهِ سنانٌ أزرقُ

وكان ملك صهبان عشرين سنة ثم ملك بعدهُ الصبَّاح بن أبرهة وكان رجلًا شديد الباس فقام يطلب دم صهبان بن محرث من التغلبيين فاستجاش كليب وائل بنى معدّ بن عدنان وانتشبت بينهما الحرب فكانت الدائرة على الصبَّاح فخرج إلى قيصر ملك الروم يستغيث بهِ وهو يقول:

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونهُ ... وأيقن أنَّا لاحقان بقيصرا

فقلت لهُ لا تبك عيناك إنما ... تُحاولُ ملكًا أو تموتُ فتُعذَرا

وأقام الصبَّاح عند قيصر أيامًا فحدَّثتهُ نفسهُ بمراسلة ابنهِ فالبسهُ قميصًا مسومًا فمات هكذا وجدت هذه الرواة فى بعض النسخ بخط بعض الفضلاء ممن لهُ عناية بهذا الفن ورأيت فى مكان آخر خلاف ذلك يزعمون أنها لإمرء القيس بن حجر الكندى الشاعر وكان ملك الصباح المذكور خمس عشر سنة وقام بعده بالملك ابنهُ أبرهة ولم يتعرَّض لبنى معدً بن عدنام لما عرف من سطوتهم وفى أيامهِ وقعت حرب

البسوس بين بنى بكر وتغلب أربعين سنةّ حيى أصلح بينهم عمرو بن هند وكفهم عن القتال فاستعدَّ أبرهة لما فى نفسهِ من أمر أبيهِ وقبل أن يشنَّ الغارة أدركه الموت فملك بعدهُ ذو الشناتر أى الأقراط بلغة اليمن قيل لهُ ذلك لأقراطٍ كان يتحلَّى بها وكان من بنى عمه الأباعد لا من آل بيت الملك وكان فاسقًا مجاهرًا بالفحشاءِ يأتى الغلمان فكان لا يسمع بغلام جميل إلا استحضرهُ ففسق بهِ ومكث على ذلك حتى نشأ زرعة بن كعب الحميرى من سلالة الحرث الرايش وكان جميل الصورة يرسل ذوايب من شعرهِ على ظهرهِ فَلُقِب بذى نُوَاس ولما بلغ الملك أمرهُ دعاهُ إلهِ فأقبل حتى دخل على الملك وقت الهاجرة وقد خلا بنفسِه فأجلسهُ معهُ على السرير ومدَّ يدهُ إليهِ وكان الغلام قد أرسل سكينًا فى خفَّهِ فاستلَّها خفيةً وضربه بها فى بطنه فسقط فقام إليهِ وقطع رأسهُ وكان الحاجب قد سخر بهِ عند دخولهِ فخرج بالرأس وألقاهُ بين يديهِ فقال الحاجب لله در أبيك والله لا يلى ملكنا غيرك فاجتمع الناس إليهِ وبايعوه بالملك ووضعوا التاج على رأسهِ وأجلسوهُ على السرير وكان ملك ذى الشناتر سبعًا وعشرين سنة وقام بالملك بعدهُ ذو نواس وكان جلوسه على سرير المملكة سنة أربعماية وتسعين للمسيح وهو صاحب الأخدود الذى دعا أهل اليمن إلى التهوَّد وكان قد نزل بترب مجتازًا فأعجبتهُ اليهودية فتهوَّد وسمى نفسه يوسف واشتهر بهذا الاسم وتبعه أهل اليمن إلا طوايف من حضرموت وعدن فغزاهم وقتل جميعهم ثم دعا العرب إلى اليهودية فكان من لا يجيب دعوته يسير إليه فيوقع بهِ فشاع ذكرهُ فى ساير الأقاليم وعظمت شوكتهُ وأطاعتهُ العباد وكانوا يجيبون دعوته خوفًا من شدة نقمته فكرهتهُ أعيان حمير وحسدوهُ على الملك الذى هو فيه وندموا على تمليكه لما ظهر لهم منه فعزموا على خلع طاعته فلم يخفَ عليه ذلك لكنه لم يحتفل بهم بل قبض على البعض منهم وعذبهم أشد العذاب وأنشأ يقول:

أســاس الملــك ويحكُــم رجــالٌ ... إذا مــا الملــك زال عــن الأســاسِ

فمــن يعطــى الرجــال وتطّييــهِ ... وتطعــن دونــه يــوم الحمــاسِ

ينــال بهــا مــن الــدنيا الــذى قــد ... حــواه المــرء يوســف ذو نــواسِ

فكــم مــن تــاج ملــكٍ قــد رأيــتم ... تنقّــل مــن أنــاسٍ فــى أنــاسِ

أطيعوا الرأس منكم كى تسودوا وهل جسدٌ يسود بغير رأسِ
فإن الناس مثل الأرض أرضٌ وإن ملوكهم مثل الرواسي

ولما تمكن ذى نواس فى الملك حملتهُ اليهود على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى فأغار عليهم ودعاهم إلى اليهودية فامتنعوا فتقل ملكهم عبد الله بن التامر وجمع أهل البلد وألقاهم فى حفيرةٍ قد احتفرها وأصرم فيها النار فاحترقوا بها وهى المراد بالأخدُود وكان من هرب منهم رجلٌ من عظمائهم يقال لهُ دوس تعلبان فسار إلى النجاشى ملك الحبشة وشكا إليه ما ارتكبهُ ذو نواس الحميرى فكتب النجاشى إلى قيصر ملك الروم يستأذنهُ فى تجريد خيلٍ إلى اليمن فأمره قيصر أن يستخلف دوس تعلبان على ملكتهِ ويخرج بجنوده إلى اليمن فيقيم بها وينزع الملك من ذى نواس الحميرى فخرج ملك الحبشة إلى اليمن فى سبعين ألف فارس ولما علم ذو نواس بقدومِه تجهز للحرب وفرَّ السلاح على جنوده وسار يستقبل الحبش فالتقوا على ساحل عدن وثار النجاشى بأصحابهِ وقال لهم هذا البحر خلفكم والسيوف أمامكم فلا ملجأَ لكم إلا الصبر حتى تموتوا أو تظفروا فاقتتل القوم قتالًا شديدًا وقُتِل من الفريقين عددٌ كثير وكان الظفر للحبشة فانهزم ذو نواس بأصحابهِ وتبعتهم الحبشة وخاف ذو نواس من الأسر فاقتحم البحر بجواده وقال إن الغرق أفضل من أسر السودان فضربتهُ الأمواج وكان آخر العهد بهِ وكان ملك ذى نواس عشرين سنةً فلما هلك قام بعدهُ ذو جدن الحميرى فلم تدّعهُ الحبشة يتمكَّن من الملك وجرت لهم وقايع معهُ ثم هزموهُ فاقتحم البحر أيضًا ولحق بذى نواس فقام بعده ذو يَزَن الحميرى وهو آخر ملوك حمير خَلص بعد ذلك ملك اليمن للحبشة فملك منهم أرياط قايد جيش النجاشى وكان من بنى عمه فكان يكرم العظماء من أصحابِه يزدرى بالضعفاءِ وكلَّفهم ما لا يطيقون من المشقَّات فجزعوا من ذلك واجتمعوا إلى أبرهة أحد رؤساء الجيش فغضب لهم وعزم على الأخذ بأيديهم فعاهدوهُ على المبايعة لهُ والتسليم إليه فعصى أرياط وخرج عليه ودعاه إلى الحرب فانحاز إلى أرياط عظماءُ الحبشة وغطاريفهم وانحاز إلى أبرهة رعاعهم وصعاليكهم والتقى الفريقان فاقتتلوا قتالًا شديدًا ولما تمادى الأمر بينهم برز أبرهة بين السفين

ونادى يا معشر الحبشة لماذا نقتل بعضنا بعضًا خلوا بينين وبين هذا الرجل فأينا قتل صاحبهُ تولى الأمر فاستغنم أرياط ذلك لأنه كان عظيم الجثة هايل المنظر وكان أبرهة ذميمًا ضئيلًا فخرج كل واحدٍ منهما إلى صاحبهِ ووقف كلا الفريقين عن القتال ينظرون إليهما فحمل أرياط على أبرهة وعلا وجهه بالحربة فشرم أنفهُ وبلك لقب بالأشرم وحمل أبرهة على أرياط بالسيف وعلا بهِ بأسهُ فأسرع السيف فى دماغهِ وسقط عن جوادهِ فأجهز عليه ونادى أبرهة يا معشر الحبشة الله ربنا والمسيح مخلصنا والإنجيل كتابنا والنجاشى ملكنا وإنى إنما قتلت أرياط لتركه التسوية بينكم فاثبتوا للاستواء بينكم فإن الله لا يرضى بالأثرة وإحرام الضعفاء فمالوا جميعًا وصاروا مع أبرهة وأعطوهُ الطاعة واستوى لأبرهة الملك بعد ذلك على بلاد اليمن وأطاعتهُ العرب والحبش جميعًا وكان ملك أرياط فى اليمن عشرين سنة ولما بلغ النجاشى قتل أرياط غضب غضبًا شديدًا وقال بلغ من أبرهة قتل ابن عمى فوالله لأطأنَّ أرضه سهلها وجبلها برجلى ولأجزَّنَّ ناصيتهُ بيدى ولأهرقنَّ دمهُ بكفى ثم تجهز بجنودهِ للمسير إلى اليمن فبلغ ذلك أبرهة فملا جرابين أحدهما من تراب السهل والآخر من تراب الجبل وعمد إلى ناصيته فجزها ووضعها فى حق عاج ودعا حجامًا فحجمهُ وصير دمهُ فى زجاجة وختم عليهن بالمسك وبعث بهن إلى النجاشى وكتب إليه يقول والله يا مولاى ما خفرت ذمتك ولا خلعت طاعتك وأنى وأهل أرضى لسامعون لك ومطيعون لأمرك وإنما كان لى مع أرياط ما كان لإيثاره الأقوياء على الضعفاء من جنودك ولم يكن ذلك من سيرتك ولا رأيك وبلغنى قسمك فى فها قد بعثت إليك بتراب أرضى من سهلٍ وجبل وبناصيتى وبدمى فطَأ تراب أرضى برجلك وجز ناصيتى بيدك وأهرق دمى بكفك وأبرز بيمينك واطفؤ عنى غضبك فإنما أنا عبدٌ من عبيدك وعاملٌ من عُمَّالك والسلام فلما بلغ الكتاب النجاشى أعجب بذلك وقال والله ما الحبشة مثل أبرهة فأقَّرهُ فى مكانه وأقام أبرهة المذكور على ملك اليمن إحدى وعشرين سنةً ومات قتيلًا بمكة وكان قد قصدها بجيشهِ يريد أن يهدم البيت الحرام واتخذ فيلًا عظيمًا يقدَّمهُ فى وجه قومِه ليَّتقوا بهِ وقع النبال ولذلك يقال لُه صاحب الفيل وملك بعد أبرهة ابنه يكسوم وكان قد استخلفه على اليمن عند مسيره إلى مكة فلم يرجع وأقام يكسوم على ملك اليمن مكان أبيه تسع

عشرة سنةً ثم توفى فتولى مكانهُ أخوهُ سروق فقام اثنتى عشرة سنةً ورأى أهل اليمن ثبات ملك الحبشة عليهم وتوارثهم إياه خَلَفًا عن سَلفٍ فجزعوا من ذلك وأخذتهم الأنفة والحمية وكان فى تلك الأيام قد نشا سيف بن ذى يَزَن الحميرى فاجتمعوا إليهِ وقالوا لهُ إن الحبشة قد دخلوا بلادنا بسبب جدك ذى نواس وقد طال بلاوهم علينا حتى ضاقت صدورنا عنه ورأينا أن نجمع لك من النفقة ما يجهزك إلى بعض الملوك تستنجدهُ لعلك تقبل بجنودٍ تقاتل هؤلاءِ الحبشة بهم فينقذنا الله بك وعلى يدك من ملكهم فقال سيف أنا سائرٌ إلى قيصر ملك الروم فاقتسموا لهُ مالًا وجهزوهُ أحسن جهاز فسار فى البحر نحو أرض الروم حتى وافى القسطنطينية وكان قيصر يومئذٍ يوستينيانوس الثانى فدخل عليهِ وحدَّثهُ بلسان الترجمان عمَّا هم فيه من جور الحبشة منذ سبعين سنة وما يلقون من ظلمهم العنيف وسأَلهُ يمدَّهُ بجيش يدفعهم بهِ فقال قيصر إن الحبش على دينى وأنتم قومٌ مخالفون لنا وما كنت لأنصرَكم عليهم فخرج من عندهِ سيف وقد يئس منهُ ولما عزم سيف على الانصراف أمر لهُ قيصر بعشرة آلاف درهم يتقوى بها على انصرافهِ إلى بلادهِ فأبى أن يأخذها وقال للرسول قل لمولاك إن لم ينصرنى فلا حاجة لى بالمال ثم أن سيفًا سار من أرض الروم حتى وافى الشام ثم خرج إلى العراق وقصد النعمان بن المنذر وهو بالحيرة فدخل عليهِ وأخبره بما قدم بهِ وأعلمهُ بما هم عليهِ من استيلاء الحبشة عليهم منذ سبعين سنة فقال النعمان أقم عندى فإن لى وفادة على كسرى أنو شروان فى كل عام وقد دنا وقتها وأنا خارجٌ بك وجاعلٌ الإذن بك على كسرى من بعض حوايجى فأقام عنده حتى حانت الوفادة فخرج معه حتى دخل على كسرى واستأذن بالدخول لهُ فأذن فيهِ ودخل سيف على كسرى وهو جالسٌ على السرير فى إيوانِه فلما دنا منه سيف طأطأ رأسهُ وحياهُ بتحية الملوك فأمر لهُ بكرسى من ذهب فجلس عليهِ فقال لهُ كسرى ما حاجتك التى قدمت بك من أرضك السحيقة البعيدة قال سودانٌ تغلبوا على بلادنا منذ سبعين سنة يسوموننا الخسف فأتيتك لتمدَّنى بجيش أدفعهم بهِ عن بلادنا وتكون أنت ملكنا فإنك أحبُّ إلينا منهم فقال كسرى قد قعدت بلادك عن بلادنا مع قلة الخير فيها إن فيها الشاة والبعير وذلك ما لا حاجة لى بهِ فقال سيف يا مولاى لا تزهد فى بلادى فإنها قرعة العرب وعقبة التبابعة الذين ملكوا الأرض ودامت

لهم المشارق والمغارب فقال كسرى ما نت لأخاطر بجيش من جنودى فى ما لا يجدى نفعًا فخرج سيف من عنده أيسًا منكسر البال وقال كسرى إذ لم ننجدهُ فلا بد من صلتهِ بما يستعين بهِ على سفرهِ وأمر لهُ بعشرة آلاف درهم فحملها سيف فى ذيل رداءيهِ وخرج حتى انتهى إلى باب القصر وجعل يأخذ منها كسفًّا كسفًّا وينثر على الناس حتى أتى عليها وبلغ ذلك كسرى فغضب وأمر بإدخالهِ عليهِ فدخل فقال ما حملك على أن تستخفَّ بعطيَّتى حتى نثرتها على الناس فقال ما أصنع بالمال وأنا تراب أرضى ذهبٌ وفضة ثم خفقتهُ العبرة فرقَّ لهُ كسرى وعلم أن ذلك لم يصدر إلا عن كآبةٍ فى قلبه فقال لهُ أقم حتى أنظر فى أمرك فخرج من عندهِ وقد داخله الطمع فى قضاءِ حاجتهِ فكان يدخل على كسرى مع الوفد إذا دخلوا عليه ليكَّرهُ بنفسهِ فجمع كسرى وزراءَهُ وقال ما ترون فى أمر هذا الأعرابى الذى أتانا موتورًا مستغيثًا فقال رئيس وزرايه أيها الملك إن فى سجنك أقوامًا قد استحقوا القتل بذنوبٍ لهم فإن رأيت أن تطلقهم من سجنهم وتعضدهم بالمال والسلاح وتجهزهم معهُ فإن ظفروا كانت زيادةً فى ملكك وإلَّا فهم سيقتلون لا محالة فأعجب الملك هذا الرأى وأخرجهم من السجن فكانوا سبعة آلاف وخمسماية نفر ففرَّق فيهم المال والسلاح وقدم عليهم شيخًا كان معهم فى السجن يقال لهُ وهرز بن كامجار وكان من أشراف العجم وفرسانهم المشاهير وسيرهم مع سيف فساروا إلى الأبلة وركبوا من هناك البحر فى اثنتى عشر سفينةً حتى انتهوا إلى ساحل عدن فنزلوا هناك واتخذوا خندقًا لأنفسهم وقال وهرز قد وردنا بلادك يا سيف فماذا عندك قال عندى ما شيتَ من رجلٍ يمنى وسيف هندى وفرس عرلابى قال دونك فابعث رسلك إلى قومك فأرسل الرسل إلى معدن اليمن ومحاليفها فانجلبت إليهِ حمير من أقاص اليمن حتى صار فى عشرين ألف فارسٍ وراجل ولما بلغ ذلك مسروق بن أبرهة ملك الحبشة تجَّهز فى جنودهِ وسار نحوهم فى ثلثين ألفًا من الجيش فتواقف الفريقان للحرب وقد صفوا سفوفهم ونصبوا راياتهم وانتشب القتال بين العسكرين إلى نصف النهار فقُتِل مسروق وانهزمت أصحابه وكان قاتله وهرز بن كامجار قايد الفُرس رماهُ بسهمٍ فأصحاب جبينهُ ونفذ من مؤَّخر رأسهِ وحمل جيش العرب والفرس على الحبشة يقتلون من أدركوا منهم حتى أتوا على آخرهم وتقدم سيف

ووهرز نحو صنعاء حتى دخلوها فأقام وَهْرَز بصنعاءَ وأرسل رجاله إلى كل ناحيةٍ من اليمن وأمرهم أن لا يظفروا بأسوَد إلا قتلوه ثم كتب إلى كسرى يخبره بافتتاح اليمن فكتب إليه كسرى أن يفحص عن سيف فإن كان من أبناءِ ملوك اليمن أقرَّه على ملكهِ وانصرف عنه وإلَّا فليضرب عنقه ويجلس على ملك اليمن فجمع وهرز أشراف قحطان وسألهم عن سيف فقالوا أنهُ من ولد ذى نواس الملك الذى غزا نجران وكان إيقاعه بهم سبب قدوم الحبشة إلى بلادنا فسلّم وهرز اليمن إلى سيف وجمع من كان معه من رجال العجم بصنعاءَ وانصرف إلى كسرى فحياه كسرى وأحسن جائزته وانقرضت عند ذلك دولة الحبش من اليمن وكانت مدة ملكهم اثنتين وسبعين سنة وجلس سيف على سرير اليمن بقصر غمدان واستوى لهُ الملك ووفد عليه أمية بن أبى الصلت فقال يمدحه:

لا تطلب الثار لا كابن ذى يَزَن ... إذ خيَّم البحر للأعداء أحوالا

وافى هِرَقْل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذى سالا

ثم انتجى نحو كسرى بعد عاشرةٍ ... من السنين يهين النفس والمالا

حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

لله درُّهُمُ من قتية صبروا ... ما إن رأيت لهم فى الناس أمثالا

بيضٌ مرازبةٌ غُلبٌ أساورةٌ ... أسدٌ تربّث فى الغيطان أشبالا

فاشرب هنيا عليك التاج مرتفقا ... برأس غمدان دارًا منك محلالا

وأقام سيف على ملك اليمن من قِبل كسرى أنوشروان ولما خلا بالملك وتمهدت لهُ الديار سار بنفسهِ فى جميع مدن اليمن ومحاليفها يطلب الحبشة فلا يقف على أحدٍ منهم إلا يقتله سوى نفر يسير منهم استبقاهم وجعلهم عبيدًا لهُ وكانوا نحو ماية رجلٍ فخلوا بهِ ذات يوم فى الصحراءِ وقد خرج للصيد فعطفوا عليه بالحراب وقتلوهُ وهربوا فى قلل الجِبال وانقضى بذلك ملك حمير وحزنت على سيف قبائل اليمن ودفنوهُ فى صنعاءَ بمقبرة كانت لأجدادهِ ووضعوا فى سريرهِ عند رأسهِ لوحًا قد كُتِبت فيهِ هذه الأبيات:

انـا ابـن ذى يَـزَنٍ مـن فـرع ذى يمـنِ ... ملكـت مـن حـدّ صـنعاءَ إلى عـدَنِ
جلبت من فارسٍ جيشًا على عجلٍ ... فى البحر أحملهم فيه على السُفُنِ
حتـى غـزوت بهـم قومًـا مهـاجرةً ... فى البر جاسوا خلال الحى من يمنِ
بالخسف والـذل حتى قـال قايلـهم ... ذوقـوا ثمـار ذوات الحقـد والإِحَـنِ
فـــاوقعوا بهـــم والـــدهر ذو دُوَلٍ ... حتـى كـأنَّ مغـار القـوم لم يكـن
حتى إذا أظفـرت نفسى بمـا طلبـت ... وزال مـا كـان فـى قلبـى مـن الحـزَنِ
ونلـــت أكثـــر ممـــا كنـــت آملـــهُ ... من قتلَ الحبشُ حتى طاب لى وطني
جـاءَ القـضاءُ بمـا لا يـستطاع لـهُ ... دفـعٌ ولا يـشترى يـا قـوم بـالثمنِ
مـن بعـد مـا جبـت أحوالًـا محرمـةً ... قطـر الـبلاد فلـم أعجـز ولم أَهِـن
قـد صـرت مرتهنًـا فـى قـاع مظلمـةٍ ... لله درّى مـــن ثـــاوٍ ومـــرتهن

وكان سيف جميل المنظر عظيم الهيبة عالى الهمة شديد الباس كريم الأخلاق حسن التدبير وإليهِ أشار ابن دريد فى المقصورة بقولهِ *

وســـيفٌ اســـتعلت بـــهِ همتـــهُ ... حتـى رمـى أبعـد شـأْو المرُتَمـى
فجـــرَّع الأَحـــبُشَ سمًّـــا ناقعًـــا ... واحتـلَّ مـن غمـدان محراب الـدَمى

وكانت مدة ملكهِ على اليمن سبع سنين لا غير ولما بلغ كسرى أنو شروان قتلهُ أرسل وهرز بن كامجار ملكًا على اليمن وذلك سنة خمسماية وسبع وتسعين للمسيح فأقام ثلث سنواتٍ وتوفى ومن ثمَّ تداولت الفرس مملكة اليمن فتولى عليها بعد وهرز وليجان ثم حرزادان ثم النوشجان ثم مروزان ثم باذان بن خسروان وفى أيامهِ ظهر الإسلام